الكتاب السابع عشر

كتاب تجديد الفكر الديني في الإسلام

المؤلف: الدكتور: محمد إقبال

ترجمة: عباس محمود

راجع مقدمته والفصل الأول منه: المرحوم عبد العزيز المراغي

وراجع بقية الكتاب: الدكتور مهدي علام

دار الهداية ـ الطبعة الثانية ـ سنة ٢٠٠٠م.

تحليل وعرض أ.د. زكي عثمان

نبذة عن المؤلف:

من الشخصيات التي لاقت اهتمامًا عظيمًا، وكُتب عنها كتابات كثيرة في العصر الحديث «محمد إقبال» فهو المناضل بالكلمة والرأي والجهد في سبيل إعلاء كلمة الله، وفي سبيل الدعوة الإسلامية، وهو صاحب أكبر مدرسة شعرية في الهند يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: لا أعرف شخصية ولا مدرسة فكرية في العصر الحديث تناولها الكتاب والمؤلفون والباحثون مثلما تناولوا هذا الشاعر العظيم، وجاء في مقال في مهرجان إقبال المئوي - الذي انعقد في مدينة «لاهور» وتحت إشراف حكومة باكستان «إن عدد ما صدر عن إقبال من الكتب والرسائل في لغات العالم قد بلغ ألفين، ما بين كتاب ورسالة، هذا عدا ما نُشر عنه من بحوث ومقالات».

المولد والنشأة:

هو إقبال ابن الشيخ نور محمد، كان أبوه يكنى بالشيخ تتهو (أي الشيخ ذي الحلقة بالأنف) ولد في سيالكوت - إحدى مدن البنجاب الغربية في الثالث من ذي القعدة ١٢٩٤ هـ الموافق ٩ نوفمبر ١٨٧٧ م وهو المولود الثاني من الذكور.

وأصل إقبال يعود إلى أسرة برهمية، حيث كان أسلافه ينتمون إلى جماعة محترمة

من اليانـدبت في كـشمير، واعتنـق الإسـلام أحـد أجـداده في عهـد الـسلطان زيـن العابدين بادشاه (١٤٢١ - ١٤٧٣م).

أما عـن أبيـه فهـو الـشيخ نـور محمـد، كـان يعمـل بالتجـارة ويخـالط جماعـة مـن الصوفية ورجال العلم والمعرفة، وهو ما جعله عارفًا بدقائق الطريقة وعلـوم العقيـدة والسنة، وله علـم واسـع في مـسائل الحكمـة والفلـسفة والأدب، وكـان لـذلك عظـيم الأثـر في حيـاة شـاعر الإسـلام محمـد إقبـال. أمـا أمـه فهـي امـرأة يمـلأ قلبهـا الـورع والتقوى، قال عنها يوم موتها: «عندما آتي إلى تراب مرقدك سوف أصيح: من ذا الذي يذكرني في الدعاء في منتصف الليل». وتُوفي أبوه في السابع عشـر من أغسطس ١٩٣٠ بعد أن شارف المائة، وتُوفيت أمه قبل أبيه بست عشرة سنة في ١٩١٤م.

رحلته في طلب العلم:

بدأ محمد إقبال تعليمه في سن مبكرة على يد أبيه، ثم التحق بأحد مكاتب التعليم في سيالكوت، وفي السنة الرابعة من تعليمه رأى أبوه أن يتفرغ للعلـم الـديني، ولكـن أحد أصدقاء والده - وهو الأستاذ مير حسن - لم يوافـق، وقـال: «هـذا الـصبي لـيس لتعليم المساجد وسيبقي في المدرسة» وانتقل إقبال إلى الثانوية؛ حيث كـان أسـتاذه مـير حـسن يـدرس الآداب العربيـة والفارسـية، وكـان قـد كـرس حياتـه للدراسـات الإسلامية. وبـدأ إقبـال في كتابـة الـشعر في هـذه المرحلـة المبكـرة، وشـجعه عـلى ذلـك أستاذه مير حسن، فكان ينظم الشعر في بداية حياته بالبنجابية، ولكن السيد مير حسن وجهـه إلى الـنظم بلغـة الأردو، وكـان إقبـال يرسـل قـصائده إلى مـيرزا داغ دهلـوي - الشاعر البارز في الشعر الأردو - حتى يبدي رأيه فيها، وينصحه بشأنها وينقحهـا، ولم يمضِ إلا فترة بسيطة حتى قرر داغ دهلوي أن أشعار إقبال في غنى تـام عـن التنقـيح، وأتم إقبال دراسته الأولية في سيالكوت، ثم بـدأ دراسـته الجامعيـة باجتيـاز الامتحـان العـام الأول بجامعـة البنجـاب ١٨٩١م، التـي تخـرج فيهـا وحـصل منهـا عـلى إجـازة

الآداب ١٨٩٧م، ثم حصل على درجة الماجستير ١٨٩٩ م، وحصل على تقديرات مرموقة في امتحان اللغة العربية في جامعة البنجاب.

وتلقى إقبال دراساته الفلسفية في هذه الكلية على يد الأستاذ الكبير توماس آرنولد، وكان أستاذًا في الفلسفة الحديثة، وحجة في الآداب العربية والعلوم الإسلامية وأستاذها في جامعة لندن.

وبعد أن حصل إقبال على الماجستير عُين معيدًا للعربية في الكلية الشرقية لجامعة البنجاب، وحاضر حوالي أربع سنوات في التاريخ والتربية الوطنية والاقتصاد والسياسة، وصنف كتابًا في «علم الاقتصاد» ولم يصرف التدريس محمد إقبال عن الشعر، بل ظل صوته يدوي في محافل الأدب وجلسات الشعر، والتي يسمونها في شبه القارة «مشاعرة».

وكانت أول قصيدة له بعنوان: «إنه يتيم» وألقاها في الحفل السنوي لجماعة «حماية الإسلام» في لاهور، وقد استقبلت القصيدة استقبالًا حسنًا ومست شغف القلوب، الأمر الذي دعاه إلى أن ينشد في العام التالي وفي الحفل السنوي لنفس الجماعة قصيدته «خطاب يتيم إلى هلال العيد» ويشير الأستاذ أبو الحسن الندوي – وهو ممن عاصروا شاعرنا – إلى أسباب الإعجاب بشعر إقبال فيقول: «وهي ترجع في الغالب إلى موافقة الهوى والتعبير عن النفس وهذا عن إعجاب الناس بشعره، أما عن أسباب إعجابه هو بشعر إقبال فيقول: «إن أعظم ما حملني على الإعجاب هو الطموح والحب والإيمان، وقد تجلى هذا المزيج الجميل في شعره، وفي رسالته أعظم ما تجلى في شعر معاصر» سافر إقبال إلى لندن في الثاني من سبتمبر ١٩٠٥؛ ليكمل تعليمه وليستزيد من العلم فاتجه إلى كمبريدج والتحق بجامعتها؛ حيث درس الفلسفة على يد أستاذ الفلسفة مك تكرت، وحصل على درجة في فلسفة الأخلاق وتأثر بأستاذه مك تأثرًا واضحًا.

رحلاته إلى العالم الغربي والعربي

غادر إقبال لندن إلى القارة الأوروبية وزار عددًا من بلدانها، وكان في كل أسفاره يعمل على نشر الإسلام، وأثر بشعره وأسلوبه في كثير من الأوروبيين ومنهم موسوليني؛ حيث وجه له دعوة عقب مشاركته في مؤتمرات المائدة المستديرة في لندن عامي) ١٩٣٠م - ١٩٣١م) وكان منظم الزيارة الدكتور سكاربا، حيث كان معجبًا بفكر إقبال وإيمانه بالإنسان وقدراته، وذهب بالفعل إلي إيطاليا والتقى بموسوليني وألقى محاضرة، في روما يبين فيها الفرق بين مذهب كل من الحضارة الغربية والشيوعية والحضارة الإسلامية، ووضح فيها أسباب تخلف المسلمين، وأن من أهم أسباب هذا التخلف هو البعد عن الدين، وذكر الناس بماضي المسلمين وحضارتهم العريقة، ثم زار إقبال أسبانيا في عام ١٩٣٢م بعد أن حضر مؤتمر الدائرة المستديرة الثالث، وحرص على مشاهدة المعالم الإسلامية هناك فيقف أمام جامع قرطبة وقفة مؤمن شاعر وألقي فيه شعرا.

والقصيدة التي ألقاها هناك يضعها بعض الباحثين بين روائع الأدب العالمي، وألقى شاعر الإسلام في مدريد محاضرة بعنوان: «العالم الفكري للإسلام وأسبانيا». وزار إقبال أفغانستان على إثر دعوة وجهها له نادر شاه - ملك أفغانستان ومر في إحدى رحلاته على مصر، وقابل بعض شبابها وأعجب بشاب مصري، ويقول: إن الشاب فرح جدًا عندما علم أن إقبال مسلم ويقرأ القرآن، وقيل: إن إقبال لبس الطربوش بسبب المحادثة التي دارت بينه وبين هذا الشاب، ويذكر الأستاذ أبو الحسن الندوي أنه زار فلسطين في سنة ١٩٣١، ونجده يتمنى أن يحط الرحال ويظل في بلد القدس وأرض مهبط الرسالات، ومن أقواله في افتتاح المؤتمر الإسلامي عام١٩٣٠ «على كل مسلم عندما يولد ويسمع كلمة لا إله إلا الله أن يقطع على نفسه العهد على إنقاذ الأقصى». وفي ألمانيا نال الدكتوراه على بحث له بعنوان:

«تطور الغيبيات في فارس». وعقب عودته من ألمانيا التحق بمدرسة لندن للعلوم السياسية، وحصل منها على إجازة الحقوق بامتياز.

عودته إلى وطنه:

عاد إقبال إلى شبه القارة في شهر يوليو ١٩٠٨م بعد أن قضى مدة في أوروبا ما بين دراسات علمية وزيارات لدول عربية وإسلامية، وأفادته هذه المدة في التدرب على منهج البحث والإلمام بالفلسفة الغربية - ومكث في لاهور، وقدم طلب لتسجيله محاميًا لدى القضاء الرئيسي، وتم تسجيله بالفعل، ولكن في مايو ١٩٠٩ عُيِّنَ أستاذًا للفلسفة في كلية لاهور، ولم توافق المحكمة في أول الأمر على أن يتولى منصبين في الحكومة، ولكنها في نوفمبر ١٩٠٩م وافقت على تعيينه، وصدر قرار تحت عنوان: «الموافقة على تعيين محامٍ في المحكمة كأستاذ مؤقت في كلية الحكومة، وكان ذلك استثناءً لإقبال، وهذا يصور لنا مدى أهمية إقبال ومكانته في البلاد، واستمرت هذه الثنائية حوالي عامين ونصف استقال بعدها من العمل بالتدريس؛ ليكون أكثر تفرغًا للمحاماة وممارسة القانون؛ وذلك نتيجة لحبه الشديد لمهنة المحاماة والدفاع عن الحقوق، ولم يعتزل إقبال التدريس نهائيًا؛ حيث كان يتابع المؤتمرات والاجتماعات التي كانت تعقدها الجامعة؛ حيث كان له دور واضح في إصلاح حالة التعليم في بلده في هذا الوقت.

مرضه واعتزاله المحاماة:

اجتمع المرض على إقبال في السنوات الأخيرة من عمره، فقد ضعف بصره لدرجة أنه لم يستطع التعرف على أصدقائه بسهولة، وكان يعاني من آلام وأزمات شديدة في الحلق؛ مما أدى إلى التهاب حلقه، وأدى بالتالي إلى خفوت صوته، مما اضطره إلى اعتزال مهنة المحاماة، وفكر في أن يقصد فيينا طلبًا للعلاج إلا أن حالاته المادية لم تسمح بذلك، وتدخل صديقه رأس مسعود؛ حيث اقترح على يهوبال الإسلامية أن تمنحه راتبًا شهريًا من أجل أطفاله الذين ما زالوا صغارًا وحدث ذلك

بالفعل واستمر الراتب حتى بعد وفاة إقبال.

وكان من أولاده: ابنه آفتاب إقبال المحامي ورزق به من زواجه الأول، وابنه أجاويد – القاضي بمحكمة لاهور العليا، وابنته منيرة باتو وتزوجت في باكستان، وهما من زوجته الثالثة؛ حيث تزوج إقبال ثلاث زوجات ماتت إحداهن هي وابنتها بعد الولادة.

وفي أثناء مرضه هذا واعتزاله المحاماة ماتت زوجته الثالثة في مايو ١٩٣٥ ثم مات صديقه العزيز رأس مسعود، ومن العجيب أن إقبال وسط هذه المحن والكرب لم يتوقف عن ممارسة نشاطه السياسي، بل ولم يتوقف عن الإبداع وكتابة الشعر.

وفاته وآثاره العلمية:

وفي ٢١ من إبريل ١٩٣٨ فاضت روح إقبال الطاهرة إلى بارئها، وترك ثروة ضخمة من علمه (رحمه الله) قلما تركها أحد مات في مثل سنه ومن آثاره عشرون كتابًا في مجال الاقتصاد والسياسة والتربية والفلسفة والفكر وترك أيضًا بعض الكتابات المتفرقة وبعض الرسائل التي كان يبعث بها إلى أصدقائه أو أمراء الدول، ذلك إلى جانب روائعه من الشعر والتي استحق أن يسمى بسببها (شاعر الإسلام).

فكرة تأليف الكتاب

لقد جاب الدكتور / محمد إقبال كثيرًا من الأقطار فتألم لركود العالم الإسلامي، ووقوع كثير من بلدانه تحت يد الاستعمار، وتقدم العالم الغربي في كثير من المجالات، فأراد دعوة العالم الإسلامي إلي إزالة غبار النوم، وإعمال العقل، ومواكبة العصر، وفهم النصوص الدينية تبعًا للتطور العلمي، وترك التقليد والجمود وفتح باب الاجتهاد، وتجديد الفكر الإسلامي وبناء الفلسفة الإسلامية بناءً جديدًا، وإحياء الثقافة الإسلامية علي نحو جديد، محاولًا النهوض بالأمة فكريًا لكي تلحق بركب التطور العلمي الحاصل علي مستوي العالم، حيث كانت الأمة

الإسلامية قديمًا تضيء بنور العلم، وكانت أوربا ما تزال ترزخ تحت جنح الظلام، هذا كله دفعه إلي تأليف هذا الكتاب.

تعريف بالكتاب:

اشتمل كتابه علي مقدمة وستة فصول، وفهرس للموضوعات، ويبلغ عدد صفحاته (٢٣٤) من القطع الكبير. ولقد اشتمل كتابه علي عدة نقاط رئيسة، والتي من شأنها إحياء الفكر وبث روح الثقافة الإسلامية من جديد، وقيام أمة تربط بين أوصالها **المحبة، والود**، والإيمان، والشعور بالآخر، منها:

١- إصلاح الفرد عن طريق تعميق الروابط وتقوية الشعور الديني، والحث علي الفكر.

٢- العمل علي القيام بالرياضة الدينية لكل أفراد الأمة.

٣- وجوب تناول القرآن الكريم وتفسيره بطريقة عصرية، من أجل الرقي والتقدم.

أولًا : المقدمة: فقد تحدث فيها عن أن القرآن الكريم يعني بالعمل أكثر مما يعني بالرأي، ومع ذلك فقد زكي التفكير الواقعي، وحث علي الرياضة النفسية، وأن المذاهب الصوفية الصحيحة، قد عملت عملًا طيبًا في تكييف الرياضة الدينية، وتوجيه خطاها.

وبين كذلك أن هذه الموضوعات عبارة عن عدة محاضرات ألقاها في عدة مدن هي مدراس، وحيدر أباد، وعليكرة، وأنه قد درس الطبيعيات القديمة ونقد أسسها، وبين أن هناك ترابط بين الدين والعلم، وأن التفكير الفلسفي ليس له حد يقف عنده، وكلما تقدمت المعرفة أمكن الوصول لحقائق قد تكون غير التي بأيدينا، ومع ذلك يجب مراقبة التقدم العلمي والأخذ بأحسنه، ونقد وتمحيص ما عداه [(١)].

(١) راجع مقدمة الكتاب: ص ٤

ثانيا: الفصل الأول: المعرفة والرياضة الدينية:

فقد اشتمل هذا الفصل علي نقاط جمة من شأنها إذا أخذ بها أن تعيد بناء الشخصية الإسلامية وفق قواعد صحيحة، وثقافة واقعية، وهمة وروح دينية نقية، فقد تحدث فيه عن الدين، وقال: بأنه يهتم بالفرد والجماعة معا، وأن الفكر عنصر [(١)] جوهري من عناصره، وأن الدين ليس أمرًا جزئيًا، ليس فكرًا مجرد فحسب، ولا شعورًا مجردًا، ولا عملًا مجردًا، بل هو تعبير عن الإنسان كله، [(٢)] وقال: إن الدين في حاجة إلي استخدام المنهج العقلي، ونقل عن الأستاذ هويتهد قوله «إن عصور الإيمان هي عصور النظر العقلي» [(٣)]

بل التماس الأسس العقلية للإسلام فقد بدأ بالرسول صلي الله عليه وسلم نفسه فقد كان يدعو ربه قائلا: «اللهم اهدني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك» ومدح أصحاب النظر العقلي من المتصوفة وغيرهم فقال: «لقد قدموا فصلًا قيمًا في تاريخنا الثقافي، وأن الفلسفة اليونانية قد وسعت آفاق النظر العقلي عند مفكري الإسلام» [(٤)] وأن الفكر قادر علي أن يصل في حركته العميقة إلي لا نهائي سار فيه، وهو من حيث طبيعته ليس قطارًا معطلًا بل هو متحرك فعال يتكشف إذ يحين الوقت عما فيه من لا نهائية [(٥)].

وأن الهدف الرئيسي للقرآن الكريم أن يوقظ في نفس الإنسان شعورًا أسمي بما بينه وبين الخالق، وبين الكون من علاقات متعددة، [(٦)]، ويؤكد علي روحانية النفس

---

(١) راجع مقدمة الكتاب: ص ٤.
(٢) محمد إقبال: تجديد الفكر الديني: ص ٩.
(٣) المرجع نفسه: ص ٨.
(٤) المرجع نفسه: ص ١٠
(٥) المرجع نفسه: ص ١٤.
(٦) المرجع نفسه: ص ١٧.

وتقبلها لحياة إسلامية نقية، وأنها قادرة علي تغيير توجهاتها وتصحيح مسارها وفقًا للمبادئ الإسلامية، بل إنه يربط بين المثال والواقع ويرمي إلي إنشاء قواعد وأسس لنظام واقعي للحياة [١].

ولقد كشف القرآن الكريم عن كثير من حقائق هذا الكون ودعي الإنسان إلي التفكر فيها والبحث عن مجاهله، ولقد أكثر من الشواهد القرآنية في ذلك منها قوله تعالي ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

ولقد دعا إلي العمل الدؤوب لأن الإنسان إذا لم ينهض إلي العمل ولم يبعث ما في أعماقه من غني وكف عن الشعور بباعث من نفسه إلي حياة أرقي، أصبحت روحه

جامدة جمود الحجر، وهوي إلي حضيض المادة الميتة، وأن وجود الإنسان وتقدمه الروحي يتوقفان علي إحكام العلاقات بينه وبين الحقيقة التي يواجهها، وهذه العلاقات تنشئها المعرفة [٢].

بل إن القرآن الكريم يدربنا علي النظر العقلي في عالم المجردات، ويبصرنا بحقيقة التغير العظيمة، التي لا يتسنى لنا بغير تقديرها والسيطرة عليها حضارة قوية الدعائم، علي عكس الثقافات الأخرى، التي تناولت الحقيقة بالنظر العقلي ثم اتجهت إلي العالم الخارجي فأمدها هذا المسلك بالفخر النظري المجرد من القوة [٣]، وبين أن الرياضة الدينية تعد مصدرا من مصادر العلم الإلهي، بل إن القرآن الكريم يسلم بالتجربة، وأنه لاغني عنها في حياة الإنسان الروحية، وأن مجال الرياضة سبيلها القلب، وهو مجال حقيقي واقعي ككل ضرب من ضروب التجربة، وأن حقائقها تتساوي مع غيرها في قدرتها علي التوصيل إلي المعرفة عن طريق التأمل.

---

(١) المرجع نفسه: ص ١٨.

(٢) محمد إقبال: تجديد الفكر الديني: ص: ٢١.

(٣) المرجع نفسه: ص ٢٣.

ويجوز نقد الرياضة الدينية حيث قال: وتناول الرياضة الدينية بالنقد والتمحيص ليس فيه شيء من عدم الاحترام لها، فنبي الإسلام كان أول من تناول بالنظر النقدي الظواهر الروحانية، وقد أورد البخاري وغيره من رواة الحديث وصفًا مستفيضًا لملاحظة النبي صلي الله عليه وسلم لابن صياد» (١).

ولقد تكلم عن الخصائص الجوهرية للرياضة الدينية منها أنها تصل إلي النفس مباشرة، وأنها كلية لا تقبل التحليل، وأنها موضوعية، ولا يمكن أن يطلع عليها أحد ولا تنقل إليه.(٢)

وعلي هذا فإن الرياضة الدينية هي في جوهرها حالة من حالات الشعور، لها ناحية فكرية لا يمكن كشف محتوياتها للغير إلا في صورة حكم، بل إن البراهين العقلية والعملية تؤدي في النهاية إلي حقيقة تماثل نفس الحقيقة التي كشفت عنها الرياضة الدينية (٣).

ثالثا: الفصل الثاني: البرهان الفلسفي علي ظهور التجربة الدينية:.

تتضمن هذا الفصل كثير من الموضوعات التي عالجها كاتبنا الجليل ومن أهم تلك الموضوعات، موضوع الغائية، أي أن الكون وما فيه من مخلوقات تهدف إلي الوصول إلي غائية، ولقد ناقش المتكلمون قديمًا فكرة الغائية المترتب عليها تعليل أفعال الله تعالي، ولكن الدكتور إقبال: ناقش الموضوع من حيث إن الكل يهدف إلي الصول إلي غاية، وهي الحقيقة القصوى، وقال هي لحمة التجربة الشعورية وسداها(٤) وهي تفهم بالنظر إلي المستقبل، والواقع أن الغايات تؤلف دفعة الحياة إلي أمام، وقال: هناك مطالب وغايات جديدة وموازين مثالية، لتقدير القيم تتكون

(١) المرجع نفسه: ص ٢٥.
(٢) المرجع نفسه: ص ٣٠
(٣) المرجع نفسه: ص ٣٨.
(٤) المرجع السابق: ص ٦٧.

بالتدريج، كلما نمت الحياة، وامتد بساطها [١].

رابعًا: الفصل الثالث: الألوهية ومعني الصلاة.

تناول في هذا الفصل عدة موضوعات وقام بعرضها عرضًا كلاميًا، داعيًا لاستخدام العقل في كثير من المعضلات التي يصعب الإجابة عليها، لأن إعماله يؤدي إلي التقدم والرقي، ولقد أجاب عن كثير من المشكلات التي تناولها، جوابًا عقليًا، هادفًا إلي إثراء الفكر بنواحي ثقافية جديدة، ومن تلك الموضوعات ما يلي: -

١- موضوع الذات الإلهية.

٢- نشأة العالم وعلاقته بالله تعالي، وبيان فكرة الزمان.

٣- موضوع النفس الإنسانية،.

٤- خلق آدم عليه السلام، وهبوطه إلي الأرض.

٥- الصلاة وحقيقتها، وآثارها.

١- **موضوع الذات الإلهية**، بين تأكيد القرآن الكريم علي وحدانية الذات مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [سورة الإخلاص] ونفي عن الذات الإلهية كونها عنصرًا كونيًا عديم الصورة، وأنها لا نهائية في الكيف والكم والقوة والامتداد[٢]، وأما تصوير القرآن الكريم لها من الوجهة العقلية ممثلة في الخلق والعلم والقدرة والقدم.

٢- **نشأة العالم وعلاقته بالله تعالي**، وبيان فكرة الزمان ولقد تناول هذه القضية، وأدرج سؤال عند الحديث عنها فقال: ما الطريقة التي تبدأ بها قوة الله الخالقة في

(١) المرجع نفسه: ص٦٩.

(٢) المرجع نفسه: ص ٨١.

الخلق؟ وتناول عدة آراء في الرد علي هذا السؤال، منها رأي الأشاعرة، وقال: أنهم قالوا بنظرية الجوهر الفرد، أو الجزء الذي لا يتجزأ، وأن الجوهر الفرد له من صفات السلب والوجوب ما لا يحصي عدده، وهي توجد في أزواج متقابلة كالحياة والموت، والحركة والسكون، ولا يكاد يكون لها مدة زمانية.

ثم قام ببيان أوجه القصور في هذه النظرية، ومع ذلك قال: إنها أقرب إلي روح القرآن الكريم علي ما فيها من قصور، [1] ثم لفت أنظار علماء الإسلام في هذه الأيام إلي أن يعيدوا بناء هذه النظرية العقلية، وأن يحكموا الصلات بينها وبين العلم الحديث الذي يظهر لنا أنه متجه في الاتجاه نفسه، ثم عرج إلي الحديث إلي فكرة الزمان، وقال: إن هذا الموضوع كان دائمًا يسترعي أنظار المفكرين والمتصوفة من المسلمين، ويظهر أن بعض هذا راجع إلي القرآن الكريم يصرح بأن اختلاف الليل والنهار من آيات الله الكبرى، وبعضه إلي أن الرسول صلي الله عليه وسلم أشار إلي أن الدهر أي الزمن هو الله تعالي، ثم بدأ بذكر رأي ابن عربي وهو من كبار الصوفية فقال: يذهب ابن عربي إلي أن الدهر اسم من أسماء الله تعالي، وأن الرازي قال بعض من هذا القول، في تفسيره.

ثم قال: إن نظرية الأشاعرة في الزمان هي أول محاولة فكرية لفهم الزمان فهمًا فلسفيًا، فالزمان عندهم يتركب من آنات مفردة، ثم علق عليها فقال إن جهود الأشاعرة في بناء النظرية شأنه شأن جهد المحدثين، كان قاصرًا كل القصور من ناحية التحليل السيكولوجي، فعجزوا عجزًا تامًا عن إدراك الناحية الذاتية للزمان، ثم ذكر رأي كلا من نيوتن – الملا جلال الدين الدواني – العراقي الشاعر الصوفي – وفخر الدين الرازي – وبين أن النظر الموضوعي في هذا الشأن لا يعيننا إلا بعض الشيء علي فهم طبيعة الزمان، ولكن السبيل الصحيح لفهمها إنما يكون بتحليل

(١) المرجع السابق: ص ٨٧.

تجربتنا الشعورية تحليلًا سيكولوجيًا دقيقًا، إذ أن التجربة وحدها هي التي تظهر حقيقة الزمان [١].

٣- موضوع النفس الإنسانية: - واستعقابًا للموضوع السابق وما فيه من معضلات كلامية، ترتب عليها الحديث عن النفس لأن القول بالجوهر وما يلحقه من أعراض بناء علي قول الأشاعرة، أن العرض هو العلة الحقيقية لبقاء لجوهر من حيث هو جوهر، فالجوهر يصبح متحيزًا، أو بالأحرى يبدو متحيزًا عندما تلحق به صفة الوجود، ثم قال الدكتور / محمد إقبال وإذا نظرنا إليه باعتباره مظهرًا من مظاهر القدرة الإلهية فإنه أساسًا يكون روحيًا، فالنفس هي العملية البحتة، والبدن ليس إلا هذه العملية وقد باتت مرئية ومن ثم أصبح قابلا للقياس والتقدير [٢]، ونقل عن ابن الرومي قوله:

أفاد جسمي وجوده من الروح ... ولم تفد الروح وجودها من البدن

لقد سكرت الكأس من الروح ... ولم تسكر الروح من الكأس

ولقد أعلي من شأن النفس كثيرًا فقال: إن ما هو حقيقي علي وجه الدقة إنما هو الذي يشعر بحقيقة نفسه شعورًا مباشرًا، ودرجة الحقيقة تتفاوت بتفاوت الشعور بالذاتية، وطبيعة الذات لها القدرة علي الاستجابة إلي الذوات الأخرى، وأنها متمركزة حول نفسها، ولها دائرة من الفردية خاصة بها، وهذا وحده الذي يؤلف حقيقتها بوصفها ذاتًا [٣].

ثم قسم نواحي النفس إلي قسمين: ١ - نفس عالمة. ٢- نفس عاملة .

والنفس العالمة تحيا في مدة بحتة، أي في صورة من غير تعاقب، وحياة النفس

(١) المرجع السابق: ص ٩٤.
(٢) المرجع نفسه: ص ٨٨.
(٣) المرجع نفسه: ص ٨٩.

تتألف من حركتها من العلم إلي العمل، وانتقالها من البداهة إلي التعقل، ومن هذه الحركة ينشأ الزمان الذري، وهكذا فإن طبيعة تجربتنا الشعورية، وهي نقطة البدء لكل معرفة، تهدينا إلي التصور الذي يوفق بين تقابل دوام الزمان لو اعتبرناه كلًا متكاملًا، أي سرمديا، وبين تغير الزمان لو اعتبرناه مركبًا من أجزاء متناهية [١].

٤- **قصة هبوط آدم** عليه السلام: قال: إن القرآن الكريم حور القصة ليجعل لها معني جديدًا مختلفًا عن معناها السابق وطريقة القرآن الكريم في تحوير القصص ليبعث فيها معاني جديدة يلائم بينها وبين روح التقدم في الزمن، ولكن دارسي الإسلام من المسلمين وغير المسلمين علي السواء كادوا يهملونه علي الدوام، وهدف القرآن الكريم قلما يكون العرض التاريخي، بل يكاد يهدف إلي أن يجعل لها مغزى عامًا أو مضمونًا فلسفيًا، ويحقق قصده هذا بحذف أسماء الأشخاص والأماكن التي من شأنها أن تحدد معني القصة بصبغها حادثة تاريخية معينة، وكذلك بحذف التفصيلات التي تبدو خاصة بنوع آخر من الشعور [٢].

ثم قام بعرض مقارنات بين القصة القرآنية في هذا الشأن، وبين أقوال غيره في ذلك فقال: إذا بحثنا عن صورة القصة كما جاءت عند الساميين فإنه من المرجح جدًا أنها نشأت عن رغبة الإنسان البدائي في أن يفسر لنفسه تعاسته البالغة وسوء حاله في بيئة غير مواتية له، تفيض بالمرض والموت، وتعوقه من كل ناحية في استبقاء حياته، وكانت نظرته إلي الحياة نظرة متشائمة، وكذلك هناك خلاف بين الرواية القرآنية والرواية التوراتية، وفيه إشارة إلي أن الغرض منها ليس السرد التاريخي، كما هو الحال في كتاب العهد القديم، إنما تحدث عنها باعتبار الإنسان كائنًا حيًا من حيث هو خليفة الله في الأرض، ثم قدم نظرية جديدة لذلك فقال: «إنني أميل إلي

(١) المرجع نفسه: ص ٩٤.

(٢) محمد إقبال: تجديد الفكر الديني. ص ١٠٠.

اعتبار الجنة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم تصويرًا لحالة بدائية يكاد يكون الإنسان فيها مقطوع الصلة بالبيئة التي يعيش فيها، ومن ثم فإنه لا يحس بلدغة المطالب البشرية التي تحدد نشأتها، دون سواها من العوامل بداية الثقافة الإنسانية، وعليه يبين ارتقاء الإنسان من بداية الشهوة الغريزية، إلي الشعور بأن له نفسًا حرة قادرة علي الشك والعصيان، وليس يعني الهبوط أي فساد أخلاقي، بل هو انتقال الإنسان من الشعور البسيط، إلي ظهور أول بارقة من بوارق الشعور بالنفس، ولا يعتبر القرآن الكريم أن الأرض ساحة للعذاب، سجنت فيه إنسانية شريرة العنصر بسب ارتكابها خطيئة أصلية، فالمعصية الأولي للإنسان كانت أول فعل له تتمثل فيه حرية الاختيار، ولهذا تاب الله عليه» [(١)].

وبعد ذلك كله يقول: لقد بينت لكم كيف يمكن تأييد فكرة الإسلام عن الله تعالي تأييدًا مستمدًا من الفلسفة، ولكن مطامح الدين تسمو علي مطامح الفلسفة، فالدين لا يقنع بمجرد الإدراك، بل يبحث عن علم أوثق وعن اتصال آكد بموضوع علمه، والعبادة أو الصلاة التي تختتم بالهداية الروحانية هي الوسيلة لتحقيق هذا الإتحاد[(٢)].

٥- **الصلاة حقيقتها وآثارها:** قال د/ إقبال: إن الكلام عن الصلاة من الناحية السيكولوجية يدل علي أنها غريزية في أصلها فالصلاة التي تستهدف المعرفة تشبه التأمل، بل هي تزيد عليه، وهي كالتأمل في أنها فعل من أفعال التمثل، وهو في الصلاة يحصل علي قوة لا يعرفها التفكير المجرد، والصلاة هي وسيلة للهداية الروحانية وفعل حيوي تكشف به فجأة شهيتنا التي تشبه جزيرة صغيرة مكانها الأكبر الخضم للحياة [(٣)]، والباعث للإنسان علي الصلاة نتيجة ضرورية لحقيقة هي أن

(١) المرجع السابق: ص ١٠٣.
(٢) المرجع نفسه: ص ١٠٧.
(٣) المرجع نفسه: ١٠٩.

النفس الإنسانية التجريبية لا تستطيع أن تعثر علي ندها، «أي رفيقها الأعظم» إلا في عالم مثالي[١]، ثم بين أن الصلاة هي الطريق لمعرفة الله تعالي والوصول إليه فقال: إن الصلاة يجب أن ينظر إليها علي أنها تكملة ضرورية للنشاط العقلي لمن يتأمل في الطبيعة، ثم قال: والحق أن كل طلب للمعرفة هو في جوهره صورة من صور الصلاة، فالمتأمل في الطبيعة تأملًا علميًا هو نوع من الصوفي الباحث عن العرفان يؤدي صلاته، وأن الغرض الحقيقي للصلاة يتحقق علي خير وجه عندما تكون الصلاة جماعة فروح كل صلاة روح اجتماعية، وأن الاجتماع ينمي قوى الإدراك عند الرجل العادي ويعمق شعوره، ويحرك إرادته في درجة لا يعرفها في عزلته ووحدته، والصلاة هي تعبير عن مكنون شوق الإنسان إلي من يستجيب لدعائه في سكون العالم المخيف وهي فعل فريد من أفعال الاستكشاف تؤكد به الذات الباحثة وجودها في نفس اللحظة التي تنكر فيها ذاتها، فتتبين قدر نفسها ومبررات وجودها بوصفها عاملًا محركًا في حياة الكون، وصور العبادة في الإسلام ترمز إلي إثبات الذات وإنكارها معا[٢].ص ١١١ وأن اختيار قبلة واحدة لصلاة المسلمين أريد به أن يكفل وحدة الشعور للجماعة وهيئتها تخلق علي العموم الإحساس بالمساواة الاجتماعية، وتقوي أواصره، بقدر القضاء علي الشعور بالطبقات أو تفوق جنس من المتعبدين علي جنس آخر، وأن تحقيق الوحدة للبشر حقيقة من حقائق الحياة[٣]. ص١١٢.

تلك هي المفاهيم التي قدمها الدكتور / إقبال في حديثه عن الموضوعات سالفة الذكر، وناقشها بناحية عصرية متمشية من روح الدين في صياغة فلسفية، ثم قال: غن المهمة الملقاة علي عاتق المسلم العصري مهمة ضخمة إذ عليه أن يفكر تفكيرًا جديدًا في نظام الإسلام كله، دون أن يقطع ما بينه وبين الماضي قطعًا تامًا، وأن نتناول المعرفة العصرية بنزعة من الإجلال، وفي روح من الاستقلال والبعد عن

(١) المرجع نفسه ١٠٨
(٢) المرجع السابق: ص ١١١.
(٣) المرجع نفسه: ص ١١٢.

الهوى، وأن نقدر تعاليم الإسلام في ضوء هذه المعرفة، ولو أدي بنا ذلك إلي مخالفة المتقدمين[١].ص ١١٦.

الفصل الرابع: روح الثقافة الإسلامية:

تحدث في هذا الفصل عن عدة نقاط رئيسة منها: -

١- مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي.

٢- جهود العلماء المسلمين في إثراء الحياة الفكرية في العالم.

١- **أما عن مصادر الفكر** الذي ذكرها الدكتور إقبال في هذا الموضوع فمتعددة ومتنوعة، منها الرياضة الدينية سواء عند النبي، أو الصوفي فمقام الشهود عند الصوفي الذي نتج عن رياضته الدينية، جعلته لا يرجع عنه وهي غاية تقصد لذاتها أما عند النبي فهو يريد أن يري رياضته تتحول إلي قوي عالمية حية، وعليه فقد صرح بها كمصدر للمعرفة فقال: إن رياضة الباطن تعد مصدراً من مصادر العلم[٢] كذلك يعد الأنفس والآفاق من مصادر المعرفة، حيث قال: «والحق أن القرن الكريم يعد الأنفس والآفاق مصادر للمعرفة، فالذات الإلهية ترينا آياتها في أنفسنا وفي العالم الخارجي علي سواء، ولهذا وجب علي الإنسان أن يحكم علي كفاية كل ناحية من نواحي التجربة في إفادة العلم[٣]، وعلي المسلم كذلك أن يعتبر بهذه الآيات الكونية ولا يمر بها أصم وأعمي، مستشهدا بقوله تعالي: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٢].

- كذلك يَعُد العقل من مصادر المعرفة: فقال: أما العقل الاستدلالي هو وحده الذي يجعل الإنسان سيدًا لبيئته بل إن المذاهب القديمة كانت من عمل التفكير

(١) المرجع نفسه: ص ١١٦.
(٢) المرجع نفسه: ص ١٥١
(٣) المرجع السابق: ص ١٥٠.

المجرد[١].

- كذلك يؤكد ابن حزم في كتابه «التقريب في حدود المنطق» أن الحس أصل من أصول العلم، بينما يبين ابن تيمية في كتابه «نقد المنطق» أن الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة لليقين[٢].

- التاريخ أو بتعبير القرآن عنه بأيام الله، هو أحد مصادر المعرفة الإنسانية، فإن القرآن الكريم دائب الإشارة إلي الأمم الخالية داعيًا إلي الاعتبار بتجارب البشر في ماضيهم وحاضرهم.[٣]

ولقد وضع قواعد لقبول الرواية التاريخية، كما في قوله تعالي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦]، وأول قاعدة من قواعد النقد التاريخي التي تقرر أن أخلاق الراوي عامل هام في قبول روايته، وهذا المنهج قد تم تطبيقه علي رواة الأحاديث، بل لقد أدي ذلك إلي ظهور مؤرخين من أمثال ابن إسحاق الطبري والمسعودي، علي أن التاريخ من حيث هو فن يؤجج خيال القارئ، ولا تتأتي كتابة التاريخ إلا لمن له خبرة أوسع ونضج أتم في التفكير العلمي[٤].

٢- **أما عن جهود العلماء المسلمين** في إثراء الحياة الفكرية فكان لهم الفضل الأكبر علي العالم كله في شتي المجالات، فهم المؤسسون المنهج التجريبي حيث استقي روجر بيكون أصول علمه من الجامعات الإسلامية في الأندلس، ولقد تأثر بعلماء الإسلام مثل ابن الهيثم وابن حزم، بل كان يصرح بقوله: اللغة العربية وعلوم العرب هي الطريق الوحيد للمعرفة الحقة[٥]، ولقد كان العلم أهم ما جادت به

(١) المرجع نفسه: ص ١٤٩.
(٢) المرجع نفسه: ص ١٥٣.
(٣) المرجع نفسه: ص١٦٥.
(٤) المرجع نفسه: ص ١٦٦.
(٥) المرجع السابق: ص ١٥٤.

الحضارة العربية والإسلامية علي العلم الحديث، وكان لهم فضل كبير في جميع العلوم مثل الرياضيات، وظهور علم الجبر، وكذلك لهم إسهامات جديدة في علم الحيوان، والنبات، والطب، والفلك وعلم النجوم، والبصريات وغيرها من العلوم.

الفصل الخامس: مبدأ الحركة في بناء الإسلام:

الموضوعات الأساسية لهذا الفصل هي

١- احترام الإنسان وتقدير ذاته ومكانته .

٢- وجوب الحاجة إلي تعاليم الإسلام.

٣- الاجتهاد هو الأساس لبناء الحركة الإسلامية .

٤- الأفكار والمذاهب إنما تحيا بأهلها.

أولًا: يقول الدكتور / إقبال: فالإسلام باعتباره نظامًا عاطفيًا يقول بوحدة الكلمة، ويدرك قيمة الفرد، من حيث هو فرد، ويرفض اعتبار قرابة الدم أساسًا لوحدة الإنسان، فقرابة الدم أصلها مادي مرتبط بالأرض، ولا يتيسر التماس أساس نفساني بحت لوحدة الإنسان إلا إذا أدركنا الحياة الإنسانية جميعًا روحية في أصلها ومنشئها ومثل هذا ينشئ روابط جديدة من الولاء، وييسر للإنسان أن يحرر نفسه من أسر الروابط المادية، وفي هذا القول يمكن التماس دعوة قوية إلي اتحاد المسلمين وإن كانت غير معلنة، مستخدمًا التعريض دون التصريح، ومن ثم فقد كان العالم العربي وغيره يعيش في حالة من الهمجية وتقطع الأوصال، فقد كانت كل قبيلة وكل طائفة تغير علي جارتها، ولا يعرفون لهم نظامًا ولا ضابطًا، ولا قانونًا، ومن ثم فقد بات العالم مفتقرًا إلي ثقافة جديدة تحل محل ثقافة العرش ونظم الوحدة، ثقافة تجمع وتوحد البشرية كلها، لا فرقة ولا تميز ولا عنصرية، الكل سواء بسواء، لا فضل لأحدهم علي الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح، إذا كانت الحاجة ماسة إلي الدين الإسلامي ذو الخصائص الجمة، والحلول الميسرة الصالحة لكل زمان ومكان، خصائص تحيي الروح والجسد معًا، الفرد والجماعة، ومن ثم فقد وجد الإسلام

أرضًا خصبًا أينما حل، وكان التوحيد أساسًا لوحدة العالم كله، ثم بعد ذلك أعلنها ولكن من خلال قصائد الشاعر التركي «ضيا» حيث قال: هاكم ملخصًا لإحدي قصائده «لكي يكون الإسلام وحدة سياسية قوية حقًا، يجب أولًا أن تصبح البلاد الإسلامية دولا مستقلة، ثم تخضع جميعًا لسلطان خليفة واحد، وعلي الخليفة أن ينظم بيته هو، وأن يقيم القواعد لدولة عصرية صالحة، فالضعيف لا يلقي في العالم الدولي رحمة من أحد، والقوي وحده هو الذي يستحق الاحترام.[١]

ثانيًا: دعا إلي الاجتهاد، وعدم إغلاق هذا الباب في أي عصر من العصور لأنه أحد الوسائل الدالة علي التقدم، متلمسًا له أصل في كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم، حيث قال تعالي: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت:٦٩] وحديث معاذ بن جبل ﷺ، عندما بعثه النبي ﷺ إلي اليمن في قوله: «أجتهد فيه برأيي» ثم ذكر أنواع الاجتهاد لدي المذاهب الفقهية، والأسباب الداعية إلي عدم استعمال الاجتهاد الكامل في التشريع «المطلق» بصورة واسعة، منها القضايا الكلامية التي انتشرت إبان الدولة العباسية، مثل قضية خلق القرآن، والتصوف التزهدي كان عاملًا رئيسًا في عدم استعمال الاجتهاد، حيث انصرف العباد إلي إحياء الروح فقط، وتخريب بغداد كان علي رأس هذه الأمور، وبهذا أصبحت دولة الإسلام على وجه العموم في قبضة رجال مقاربين (من أواسط الأذكياء) ولم يجد جمهور المسلمين من غير المفكرين من هو خير من هؤلاء ليقودهم، فرأوا أن خير ضمان لهم هو إتباع المذاهب في تسليم أعمى[٢].

ومع هذا كله كان يظهر من ينادي بوجوب استخدام الاجتهاد وأنه صار من أهله، مثل الإمام ابن تيمية، والسيوطي، وبعض الحركات مثل الحركة الوهابية التي

(١) المرجع السابق: ص١٨٨.
(٢) المرجع نفسه: ص ١٧٨.

يلاحظ فيها روح التحرر مع التمسك بالقديم علي طريقتها الخاصة بها [١]، وأن من فضائل الاجتهاد يؤدي إلي التفكير العصري في كل زمان ومكان، ويؤدي إلي تمحيص ما نسميه ماديًا أو طبيعيًا تمحيصًا أظهر، حيث إن المادي يكون متأصلا فيما هو روحاني، فليس ثمة دنيا دنسة، وكل هذه الكثرة من الكائنات المادية إنما هي مجال تحقق الروح وجودها فيه، فالكل أرض طهور، ولقد صور النبي صلي الله عليه وسلم هذا المعني في قوله: «**جعلت لنا الأرض كلها مسجدا**» [٢]، وإن من قال أن باب الاجتهاد قد أغلق، إنما هو محض اختلاق، أوحي به تبلور التفكير التشريعي من جهة، كما أوحي به الكسل العقلي من جهة أخري، ولقد كتب الشركس في ذلك فقال: إن الذين يتمسكون بهذا الاختلاق إن كانوا يرون أن الاجتهاد كان أسهل علي العلماء السابقين في حين أن صعابًا كثيرة تزداد في سبيل من جاء بعدهم من العلماء فهذا قول هراء، بل إن الأمر أيسر للعلماء اللاحقين فتفاسير القرآن وشروح الحديث قد تعددت إلي حد يجعل بين يدي من يريد الاجتهاد اليوم من المادة أكثر مما يحتاج [٣] وبعد هذا كله قال: إن بالإمكان تفسير أصول الشريعة الإسلامية ومبادئها تفسيرًا جديدًا، ، وإن روح الإسلام رحبة فسيحة، وأن التفكير الإسلامي يمتاز بالمرونة.

ثالثًا: الأفكار والمذاهب إنما تحيا بأهلها: تلك إحدى القضايا الهامة التي ذكرت في هذا الكتاب، والتي من شأنها العمل بها، إذ بالهمة العالية تحيا الأمم، وليس بركود أبنائها، فيجب علي كل فرد من أفراد الأمة أن يحمل همها علي عاتقه ولا يؤتي الإسلام من قبله، فكل فرد في الأمة عليه مسؤوليات تجاه الآخرين، وإذا قصر فيها هدم ركن من أركان الأمة، وخير شاهد علي ذلك في صدر الإسلام غزوة أحد، حين ترك الرماة مواقعهم، أتت الهزيمة من قبلهم، فعلي كل فرد من أفراد الأمة

(١) المرجع السابق: ص ١٨١.
(٢) المرجع نفسه: ص ١٨٣.
(٣) المرجع نفسه: ص ٢١١، ٢١٢.

الإسلامية أن يتعايش مع هذه الفكرة، وهي أنه مرابط علي ثغر من ثغور الإسلام فلا يؤتي الإسلام من قبله، وإذا حدث ذلك أمكن الحفاظ علي الأمة كلها وحدث فيها الترابط والإخاء، والشعور بالقوة والاتحاد، وحمل الفرد هم الجماعة، وصاروا كالجسد الواحد، منطبقًا عليها حديث رسول اللهﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، يشد بعضه بعضا**» وكذلك يشهد الواقع بذلك حيث نجد الحركات التي انتشرت في العالم إنما بفضل أصحابها، حيث نجد الحركة الوهابية، والحركة السنوسية، والمذهب البروتستانتي في أوربا، بل إن الأديان الوضعية التي قامت في كثير من البلدان قامت علي أكتاف أفراد معدودين، مثل الزرادشتية، والمانوية، والبوذية.

الفصل السادس: هل الدين أمر ممكن. تناول في هذا الموضوع عدة نقاط رئيسة منها:

قضية الدين والعلم الحديث بشتى صوره، واختلف طرق كل منهما، وأثر كل منهما علي الآخر، حيث قال: يمكن تقسيم الحياة الدينية إلي أطوار ثلاث، طور الإيمان، وطور الفكر، وطور الاستكشاف، والحياة الدينية تبدو في الطور الأول صورة من نظام يجب علي الفرد أو الأمة بتمامها أن تخضع لأمره خضوعًا مطلقًا، ومن غير تحكيم العقل في تفهم مراميه البعيدة، أو غايته القصوى، وهذا الاتجاه له نتائج عظيمة في التاريخ الاجتماعي والسياسي ولكنه ليس كبير الأثر في نماء الفرد من الناحية الروحية وفي امتداد أفقه، وفي الطور الثاني يأتي إعمال العقل والبحث في الكون يؤدي إلي زيادة الإيمان في النفوس، وفي الطور الثالث يحل علم النفس محل الميتافيزيقا، وتزيد الحياة الدين في طموح الإنسان إلي الاتصال المباشر بالحقيقة القصوى، وبذلك يصبح الدين مسألة تمثيل شخصي يكسب الفرد شخصية حرة، لها القدرة عن الكشف عن أصلها البعيد في أعماق شعوره هو، ومن خلال ذلك يدل علي أن العلم يقوم بتوجيه الحياة الدينية إلي مسارها الصحيح للكشف عن حقائق الأمور الدينية، دون تجاوز لحدوه والحفاظ علي قيمه، واحترام شرائعه، ، إذ

بالعلم والدين يصل المرء إلي أعلي درجات السعادة الروحية، وأن الجمود والاعتماد علي القديم ضار في الدين، كما هو ضار في نواحٍ أخري حيث يقضي علي حرية الذات المبدعة، ويسد المنافذ الجديدة للإقدام الروحي[١]، ثم يقول: «إن الدين الذي هو في أسمي مظاهره ليس عقيدة فحسب، أو كهنوتًا أو شعيرة من الشعائر، هو وحده القادر علي إعداد الإنسان العصري إعدادًا خلقيًا يؤهله لتحمل التبعة العظمي التي لا بد أن يتمخض عنها تقدم العلم الحديث[٢].

بعض الملاحظات :

علي الرغم مما امتاز به إقبال وما لاقي من اهتمام كبير هو وكتبه، إلا أن كتاب «تجديد الفكر الديني في الإسلام» توجد حوله بعض الملاحظات، وهذا شأن كل عمل بشري، يعتريه النقصان منها: -

١- ترك شاعرنا الجليل التسمية والحمد والثناء علي الله تعالي، في مقدمة كتابه وجاءت مجردة من ذلك، وهذا مما يجعلني أقول أن هذا الكتاب قد ألفه كاتبنا وقت أن كان في بلاد الغرب وكان متأثرًا بهم، وكذلك يجدر بنا الإشارة إلي أن من أراد القراءة لعالمنا الجليل أن يفرق بين ما كتبه في بلاد الغرب وبين ما كتبه في موطنه الأصلي الهند «باكستان»، حيث في بلاد الغرب موطن دراسته يكون إما متأثرًا بأفكار أساتذته، وإما بالضغوط الجاثمة عليه من قبلهم، والدليل علي ذلك ما سبق، وتركه مدح النبي صلي اله عليه وسلم، في كثير من مواطن كتابه، فعند ذكره يقول عنه: «قال النبي كذلك...، [٣] أو قال نبي الإسلام، تارك الصلاة والسلام عليه أما إذا عاد إلي بلاده شعر بالقوة والحرية الفكرية، ويظهر عندها معدنه الإسلامي الأصيل فيكتب من واقع أفكاره هو، وعقيدته الخالصة، وهذا مما يقع فيه كثير ممن

(١) المرجع السابق، ص٢١٦.
(٢) المرجع نفسه: ص ٢٢٢.
(٣) المرجع نفسه: ص.

درس بالغرب، وابتلي بأفكارهم.

ومما يؤكد ذلك كثرة نقله عن الكتاب الغربيين مثل برجسون، برادلي، وليم جيمس، بركلي، مادحًا بعضهم، مثل قوله: «قال الأستاذ هويتهد» وغيرهم.

٢- تأثره الواضح والشديد بالفلسفة باعتباره متخصصًا في ذلك، ومعالجته الموضوعات معالجة فلسفية، ومتناولًا كثيرًا من قضاياها، مثل الذات الإلهية وقضية الزمان والمكان، والجواهر الفرد، والنفس، معتبرًا أن العقل وأفكاره أساسيان لحل جميع المعضلات، ويظهر ذلك جليًا في محاولته تفسير القرآن الكريم تفسيرًا فلسفيًا[1].

٣- نادي بفكرة التجديد ولكنه لم يضع قواعد وضوابط لهذا التجديد ولا المنهج المستخدم في ذلك.

٤- مدحه الديانة النصرانية، حيث قال: «الديانتين العظيمتين» وهذه ليست عادة عند الكثير.

-عند حديثه عن الحديث النبوي باعتباره مصدرًا ثانيًا من مصادر التشريع الإسلامي، بدأ حديثه بقول المستشرق «جولد زيهر» عن الحديث النبوي، وحكمه على الأحاديث النبوية بقوله «وانتهى من بحثه هذا إلي أن الأحاديث في جملتها لا يوثق بصحتها» وترك أقوال العلماء المسلمين، وضيع جهودهم في الحفاظ علي الأحاديث النبوية، بل ويعد الحديث وعلومه من أكثر العلوم الإسلامية التي لاقت اهتمامًا كبيرًا من العلماء قديمًا وحديثًا.

*****

(١) راجع هذا الباب ص / ص ٩٣ - ٩٥- ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٧.